أثر المرجعية الدينية في الأحداث السياسية العراقية (١٩١٤م – ١٩١٨م) دراسة في ضوء الوثائق البريطانية

م. د. محمد هاشم خويطر
الجامعة المستنصرية/ كلية التربية

الملخص:

يرمي هذا البحث تتبع اثر المرجعية الدينية في الأحداث السياسية التي شهدها العراق أبان الحرب العالمية الأولى، وما تمخض عنه هذا الموقف من إرهاصات أسست لدور اكبر في السنوات التي أعقبت الحرب، سواء كان تلك التي تمثلت بقيام عدد من الانتفاضات ضد السلطة البريطانية المحتلة ، مثل انتفاضة النجف الاشرف عام ١٩١٨، أم بقيام ثورة العراق التحررية الكبرى في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠.

وضمن هذا السياق كشفت الوثائق البريطانية غير المنشورة عن خطورة الدور الذي أسهمت به المرجعية الدينية ورجالاتها الذين أصدروا دعوات الجهاد، وأعلنوا الفتاوى التي دعت إلى رفع السلاح ضد المحتل البريطاني الذي كان يريد ربط العراق بالهند، وتحويله إلى مستعمرة بريطانية للاستفادة من خيراته ، وتسخير شعبه لخدمة المجهود الحربي البريطاني في أثناء الحرب وما بعدها .

تشتمل هذه الوثائق البريطانية على وثائق وزارة الهند البريطانية (India Office Records) والوثائق البريطانية التابعة لوزارة الخارجية (Foreign Office) التي كانت نسخ منها موجودة في المكتبة الوطنية ببغداد في سنوات الثمانينيات من القرن العشرين قبل ان تتعرض المكتبة الوطنية لعمليات التخريب والحرق التي طالت مؤسساتنا العلمية والثقافية بعد أحداث عام ١٩٩ وعام ٢٠٠٣.

المقدمة:

تناول عددٌ من الباحثين والمؤرخين أثر المرجعية الدينية في الأحداث السياسية التي شهدها العراق خلال الحرب العالمية الأولى وتصديها للاحتلال البريطاني وقيادتها لحركة الجهاد ضد المحتلين ، ودعوتها لصيانة استقلال العراق ، ورفضها لأساليب المحتلين الانكليز ، وكشف زيف ادعاءاتهم بأنهم جاءوا محررين لا فاتحين، إلا أن بحث هذا الأثر والدور السياسي في ضوء الوثائق البريطانية لم يتم بالحجم نفسه أو بالصورة التي تسلط لنا الضوء على الموقف البريطاني من الدور المرجعي لعلماء الدين في العراق أبان مرحلة خطيرة من تاريخ العراق الحديث والمعاصر.

لم يتوقع البريطانيون ان يرتفع أثر المرجعية الدينية الرشيدة إلى المستوى الذي وصل إليه تأثيرها في العراقيين، وأن تدعو هذه المرجعية إلى جهادهم في الوقت الذي كان العثمانيون على خلاف مع علماء الدين الشيعة ؛ الذين كانوا يتزعمون قيادة المرجعية الرشيدة، ولم يشهد العراق في

ظل حكمهم له سوى الفقر والجهل والتخلف، واستخدموا شتى أساليب الاضطهاد والتعسف مع الأغلبية الشيعية على الرغم من أنهم لم يكونوا متدينين طيلة أربعة قرون، ولم يزر سلاطينهم بيت الله الحرام حتى مرة واحدة، وكانت علاقة الشيعة بالسلطة العثمانية علاقة عدم ثقة ، وادكوا بان هذه السلطة لا تتورع عن اتخاذ إجراءات عدة من أجل منع انتشار المذهب الجعفري في العراق، فضلاً عن منع فتح المدارس الشيعية حتى في المدن العراقية التي يدين معظم أبنائها بمذهب أهل البيت (عليهم السلام) باعتراف الوثائق الرسمية العثمانية نفسها .

يرمي هذا البحث تتبع اثر المرجعية الدينية في الأحداث السياسية التي شهدها العراق أبان الحرب العالمية الأولى، وما تمخض عنه هذا الموقف من إرهاصات أسست لدور اكبر في السنوات التي أعقبت الحرب، سواء كان تلك التي تمثلت بقيام عدد من الانتفاضات ضد السلطة البريطانية المحتلة ، مثل انتفاضة النجف الاشرف عام ١٩١٨، أم بقيام ثورة العراق التحررية الكبرى في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٠.

وضمن هذا السياق كشفت الوثائق البريطانية غير المنشورة عن خطورة الدور الذي أسهمت به المرجعية الدينية ورجالاتها الذين أصدروا دعوات الجهاد، وأعلنوا الفتاوى التي دعت إلى رفع السلاح ضد المحتل البريطاني الذي كان يريد ربط العراق بالهند، وتحويله إلى مستعمرة بريطانية للاستفادة من خيراته وتسخير شعبه لخدمة المجهود الحربي البريطاني في أثناء الحرب وما بعدها.

تشتمل هذه الوثائق البريطانية على وثائق وزارة الهند البريطانية(India OfficeRecords) والوثائق البريطانية التابعة لوزارة الخارجية (Foreign Office) التي كانت نسخ منها موجودة في المكتبة الوطنية ببغداد في سنوات الثمانينيات من القرن العشرين قبل ان تتعرض المكتبة الوطنية لعمليات التخريب والحرق التي طالت مؤسساتنا العلمية والثقافية بعد أحداث عام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣.

تكمن أهمية هذه الوثائق في إنها سلطت الضوء على موضوع حيوي ومهم ، هو موضوع المرجعية الدينية وأثرها في الواقع السياسي العراقي في العشرينيات من القرن الماضي، فضلاً عن ذلك ، فإنها يظهر وجهة نظر المحتل البريطاني وتقييمه لها، الأمر الذي لم يلتفت إليه الباحثون كثيراً ، لأنه يمثل وجهة نظر مغايرة لوجهة نظرنا من جهة ، ولأنه وجهة نظر منحازة للدولة التي قامت باحتلال العراق ، وسعت لفرض سيطرتها البغيضة عليه من جهة ثانية .

واقتضت الضرورة ان يقسم هذا البحث على فصلين ، هما: الاول يتناول طبيعة السياسة البريطانية تجاه العراق قبل قيام الحرب العالمية الأولى وأهدافها ، في حين تضمن الفصل الثاني اثر المرجعية الدينية في الأحداث التي شهدها العراق أبان الحرب العالمية الأولى التي كانت أكبر حرب استعمارية حتى ذلك الحين من أجل تحقيق المصالح الاستعمارية للدول الكبرى .

نأمل أن ينال هذا البحث الرضا والقبول من لدن المختصين بتاريخ العراق الحديث والمعاصر والباحثين عن الحقيقة التاريخية دون تزييف أو مواربة أو تملق. ومن الله العون والتوفيق.

الفصل الأول/ طبيعة السياسة البريطانية تجاه العراق قبل قيام الحرب العالمية الأولى وأهدافها

تميز تاريخ القرن التاسع عشر بازدياد الاهتمام البريطاني بالعراق نظراً ،لأهميته الاستراتيجية وموقعه الجغرافي على الخليج العربي ، وكونه يمثل طريقاً من طرق المواصلات إلى الهند بوصفها (درة التاج البريطاني)، فقد حفزت الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ – ١٨٠١) من حدة التنافس البريطاني – الفرنسي، وجعلت البريطانيين يسعون لتقوية نفوذهم في العراق ، وإعداد التقارير المفصلة عن أحواله الاقتصادية والعسكرية (١).

اتسع اهتمام بريطانيا بالعراق باطراد مع رغبتها في حماية الطريق إلى الهند ولمنع هجمات البحارة العرب الذين كانوا يتخذون من شواطئ الخليج العربي منطلقاً وقواعد لهم لمهاجمة السفن البريطانية، ولهذا الغرض أبرمت بريطانيا في القرن التاسع عشر سلسلة من المعاهدات مع حكام ومشايخه الخليج لربطهم بسياستها ، ووقوفهم ضد محاولات الهجوم على السفن البريطانية في مناطقهم(٢). ولم تترك بريطانيا العراق بعيداً عن أنظارها، فقد تمكن سفيرها في العاصمة العثمانية الذي تسنم منصبه في العشرين من آب ١٧٩٩ (ايرل اوف) "E.off" من الحصول على فرمان عثماني يقضي بقبول (هارموز جونز) " H.Gones" قنصلاً لبريطانيا، مع تمتعه بالحصانة الدبلوماسية، ونص الفرمان الذي صدر في الثاني من تشرين الثاني ١٨٠٢ على أن يكون التجار والمسافرون الذين يتمتعون بحماية العلم البريطاني في هذه البلاد تحت حمايته ، ورعايته، ولا يجوز التدخل في شؤونه، وان يعفى معاونوه وخدمه من الضرائب، والسماح له بالتسلح في المناطق الخطرة من البلاد، وان يحظى عمله بمساعدة المسؤولين هناك وامتيازات أخرى كان يتمتع بها(٣).

تمكنت بريطانيا شيئاً فشيئاً من تعزيز نفوذها في العراق عبر عدة وسائل وأساليب كان من بينها تعيين بعض رجالها ، مثل كلوديوس جيمس ريج (١٧٨٧-١٨٢١) (٤) قنصلاً في بغداد عام ١٨٠٨ ، الذي كان واحداً من أفضل رجال الدبلوماسية البريطانية في العراق، وأسهم بدور بارز في التمهيد للهيمنة البريطانية على هذا البلد من خلال اتصالاته الكثيفة برجالاته، وإقامة علاقات وثيقة مع عدد من الشخصيات المهمة فيه، لاسيما من المهتمين بالآثار ، والمنقبين عنها، الأمر الذي دفع بوالي بغداد سليمان باشا الصغير لتنبيهه وتحذيره من الاتصال بهذه الشخصيات، وأخضعه للتفتيش عدة مرات ، مما دعا ريج للكتابة إلى المسؤولين في حكومة الهند الشرقية ، شاكياً سوء معاملة والي بغداد وطالباً منهم تقديم الدعم له أمام الباب العالي في استانبول، ومما

جاء في رسالته:" اتمتع أنا بتقدير عالٍ في أعين الشخصيات هنا في بغداد، ولذلك يتدخل باشا بغداد في شؤوني ... أرجو ان تقدموا لي دعماً قوياً، لأنني بدون هذا الدعم لا أستطيع ان افعل شيئاً في هذه البلاد"(٥).

لم يكتفِ البريطانيون بالأساليب الدبلوماسية من أجل الهيمنة على مقدرات العراق، وإنما سعوا من خلال أساليب أخرى لتحقيق أهدافهم في هذا البلد، وكان من بين ذلك إقدام شركة الهند الشرقية البريطانية في ثلاثينيات القرن التاسع عشر على استغلال نهري دجلة والفرات، وكلف بهذه المهمة الضابط البريطاني (فرانس جسني) "Francis Chesney" (1789–1872) الذي عهد اليه السفير البريطاني في استانبول (روبرت غوردون) " Robert Gordon" بواجب القيام بدراسة هذا المشروع (٦).

قام جسني بدراسته الاستطلاعية بين حزيران ١٨٣٠ حتى حزيران من العام التالي، وقدم تقريراً إلى المسؤولين في لندن، ثم سافر إلى هناك عام ١٨٣٢ لإقناع هؤلاء المسؤولين بأن نهر الفرات صالح لسير السفن البخارية(٧)، وتمكن بفضل ما قدمه من أدلة وبراهين من إقناع ولاة الأمر هناك بصحة فكرته وأهميتها بالنسبة لبريطانيا مستقبلاً، فتشكلت لجنة خاصة في مجلس العموم البريطاني في الثالث من حزيران عام ١٨٣٤ ، لمعرفة أي من الطريقين أفضل للتجارة بين بريطانيا والهند، وتكلف جسني بهذه المهمة (٨).

استغرقت مهمة بعثة جسني حوالي ثلاث سنوات، وتمخض عنها رسم خرائط مفصلة ومتعددة والتعرف بأحوال القبائل، وتدوين معلومات متعددة عن ماضي البلاد وحاضرها ، وما الى ذلك من جوانب رفعها بتقارير متعددة إلى المسؤولين البريطانيين (٩).

وعلى الرغم من ذلك، فإن بعثة جسني فقدت حياة ضابطين من أعضائها، وثلاثة عشر من الأوربيين الذين كانوا مرافقين لها، وخمسة من الأهالي اثر غرق الباخرة (دجلة) ، بسبب عاصفة واجهتهم قرب مدينة (عنه)، فاضطر جسني للتخلي عن طموحاته الكبيرة، واعترف بان نهر الفرات لا يصلح لسير السفن البخارية بين أعاليه ومصبه(١٠).

لم تنتهِ التحريات والاستكشافات الجغرافية البريطانية في وادي الرافدين بانتهاء مهمة جسني، وإنما أعقبتها حملات أخرى خلال المدة من ١٨٣٥ حتى ١٨٦٠ ، إذ تعد المدة التي أسست بريطانيا فيها مرتكزاً وموقعاً مهماً في نفوذها داخل العراق، وإذا كان البعض يعد هذه المدة اساساً لتثبيت مصالحها الاقتصادية في العراق، فإن الحقيقة الأخرى التي يجب أن لا نغفل أنظارنا عنها تكمن هي أن غرض بريطانيا الاقتصادي هو جزء لا يتجزأ عن مصلحة استراتيجية ، كانت تخطط لها بريطانيا وتعمل بكل ثقلها من أجلها، الأمر الذي يدل على أهمية هذا البلد في الاستراتيجية البريطانية البعيدة المدى.

وضمن هذا السياق يؤكد المقيم البريطاني في (بو شهر) في تقرير رفعه إلى حكومة الهند البريطانية أن " مصالحنا الاقتصادية رغم أهميتها، فإنها تظل دون أهمية من الهدف الاستراتيجي الذي تسعى إليه بريطانيا العظمى ، وتعمل من أجله، فهدفنا الأساس هو السيطرة والهيمنة على بغداد وما يجاورها، أما الهدف الاقتصادي ، وغيره من الأهداف الأخرى فإنها تصب في الهدف الأساس ، المتمثل بالهدف الاستراتيجي الذي يظل هو طموحنا الأبعد "(١١).

شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر قيام بريطانيا ببذل جهودا كبيرة من أجل فرض هيمنتها على العراق ، تمثلت بإرسال بعثات التنقيب الإثارية، وإنشاء خطوط التلغراف، وتأسيس الشركات الملاحية التي كان من بينها بعثة (لنج) " Lynch" الذي قام وبعض أفراد عائلته بتأسيس شركة للملاحة في نهر دجلة عام ١٨٤٠، ثم قام من بعده القائد البريطاني البحري (فلكس جونز) "Felix Janes" بمسح بغداد والمناطق الأثرية في كل من بابل ونينوى، واعقبهم القائد البريطاني (سلبي) "Selby" الذي استمر في عمليات المسح والتنقيب، فأسس هؤلاء لمرحلة جديدة في الاندفاع البريطاني نحو احتلال العراق ، والتهيئة له (١٢).

لم تقتصر المصالح الاقتصادية البريطانية على هذه الجوانب التي مهدت للاحتلال البريطاني، وإنما كان لشراء بريطانيا المواد الأولية الرخيصة من جلود وصوف وعرق سوس وخيول هدف آخر من أهدافها لربط الاقتصاد العراقي بالرأسمال البريطاني الأجنبي، فكان لذلك أبعاد استعمارية توضحت بنحو كبير في مفتتح القرن العشرين (١٣).

دفع تزايد المصالح البريطانية في العراق الساسة البريطانيون إلى عدّ وادي الرافدين مجالاً حيوياً للنشاط السياسي والاقتصادي، وأوضح ذلك عدد من السياسيين البارزين في تصريحاتهم، فقد أشار اللورد (كيرزن) "Cursen" الى أهمية العراق عام ١٨٩٢ قائلاً :" إن بغداد تقع في ضمن موانى الخليج، ويجب ان تدخل ضمن السيادة البريطانية التي لا تنازع" وعاد كيرزون ليؤكد ذلك بعد سنوات عندما قال " من الخطأ أن نفترض أن مصالحها السياسية تنحصر في الخليج ...، فإنَّها ليست كذلك، كما إنها ليست منحصرة بالمنطقة الواقعة ما بين البصرة وبغداد، وإنما تمتد إلى بغداد نفسها "(١٤).

تزايدت المصالح البريطانية في العراق في مفتتح القرن العشرين، ولم تقتصر هذه المصالح على الجوانب الاقتصادية أو السياسية أو الإثارية ، وإنما دخل النفط عنصراً جديداً جذب إليه الشركات الرأسمالية البريطانية ، التي بدأت تضغط على الحكومة البريطانية ونظيرتها حكومة الهند لكي تبدأ عمليات الاستكشاف والبحث عنه في الأراضي العراقية ، بعد اكتشاف منابعه ووجوده في

منطقة (مسجد سليمان) التابعة لإقليم عبادان عام ١٩٠٨(١٥)، فأضحى حماية حقول نفط عبادان من جملة الأسباب التي دفعت بريطانيا للاهتمام بالعراق قبيل الحرب العالمية الأولى(١٦).

دفع هذا المتغير الجديد الذي طفى على سطح الأحداث بريطانيا الى وضع الخطط العسكرية والترتيبات الأمنية لاحتلال المناطق العراقية الجنوبية التي كانت تعتقد إنها تضم ثروة نفطية، شأنها في ذلك، شأن مناطق عبادان التي كانت حقول نفطها قد دفعت بعض رأسمالييها لجلب عددٍ من خبرائها ، وفنييها لمسح أراضيها على أمل أن يتم إنتاج النفط من حقولها، وبهذا الصدد دعا الفريق الأول (أدمون بارو) " Edmund Barrow" السكرتير العسكري لوزارة الهند في عام ١٩١١ المسؤولين في الحكومة البريطانية لتهيئة المستلزمات الضرورية لعملية السيطرة على المناطق الجنوبية من العراق، فضلاً عن المناطق الفارسية الواقعة على الخليج العربي ، وقال بهذا الصدد" ان السيطرة على المناطق الجنوبية من العراق، ومعها المناطق المحاذية لبلاد فارس ضرورية لنا ؛ بسبب التوقعات التي تشير الى وجود النفط في هذه المناطق، فضلاً عن موقعها الاستراتيجي في حالات الحرب والسلم معاً"، واستطرد قائلاً في تقريره الذي رفعه إلى المسؤولين البريطانيين " ان البصرة وعبادان مهمتان لنا مثلما هو الأمر بالنسبة لبغداد وطهران ، ولكننا يجب ان نهتم الآن بالمنطقتين الأوليتين، ومما يساعدنا على تنفيذ خططنا هو ان العثمانيين في البصرة ضعفاء ومنشغلون بمشكلاتهم، أما في عبادان؛ فإنَّ القبائل هي التي تحكم هناك، وهي أقوى من الحكومة الفارسية نفسها" (١٧).

لم تأتِ هذه التصورات التي طرحها السكرتير العسكري لحكومة الهند البريطانية اعتباطاً، وانما جاءت نتيجة تصوراته الاستراتيجية التي صاغها بهذا التقرير، فشكلت حكومة الهند في ضوء ذلك لجنة رباعية أواخر عام ١٩١١، أخذت على عاتقها وضع الخطط العسكرية لاحتلال العراق قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى لحماية مصالحها المتزايدة في منطقة الخليج العربي، وتوصلت اللجنة الى نتيجة مهمة في الثاني عشر من كانون الثاني مفادها ضرورة احتلال الفاو والبصرة التابعتين للعراق، وعبادان التي كانت تابعة لبلاد فارس من جهة، وحماية لأرواح الفنيين البريطانيين العاملين في منشآت النفط هناك من جهة ثانية (١٨).

وعلى صعيد آخر حاولت بريطانيا اتخاذ الاحتياطات اللازمة لضمان مصالحها وحمايتها في منطقة الخليج العربي قبيل قيام الحرب العالمية الأولى بأشهر قليلة، ففي هذه الأشهر عقدت عدة مؤتمرات في لندن بين الاميرال (سلايد)" Sled" ممثل القيادة البحرية البريطانية والفريق الأول ادموند بارنو السكرتير والمستشار العسكري لوزارة الهند البريطانية لدراسة الموقف العسكري، وبناء على ذلك صدرت الأوامر للسفينة (اودن) "Odin" لمراقبة تحركات السفينة البريطانية (مرمريس) (١٩)، كما أعطيت الأوامر إلى السفينة (اودن)و(لورنس) "Lawarnce" بالتوجه إلى شط العرب

لإبقائه مفتوحاً أمام السفن البريطانية في حالة قيام الحرب على الرغم من قناعة القيادة العسكرية البريطانية بعدم جدية هذه الإجراءات . لحماية المصالح البريطانية في الخليج العربي (٢٠).

جاءت تصريحات بعض المسؤولين البريطانيين لتصب في خدمة الاحتياطات اللازمة التي اتخذتها القيادة البريطانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر صرح اللورد كيرزن بان " ميناء بوشهر مدينة انكليزية صرفة"، ولم يكن أدموند بارنو أقل حدة وتطرفاً في تصريحاته، فقد ذكر ان " من مصلحة بريطانيا ان تهيء نفسها للسيطرة على عبادان والبصرة قبل ان تقوم الحرب؛ لان هاتين المنطقتين هما بوابتا الخليج العربي، ومن يسيطر عليهما قبل الحرب سيضمن انتصاره في هذه المنطقة المهمة من الشرق الأوسط بعد قيام الحرب، وسيكون قادراً على الاستفادة من منطقة عبادان التي أثبتت التحريات وجوده هناك"(٢١).

لقد تلخصت أهداف السياسة البريطانية قبيل قيام الحرب العالمية الأولى في منطقة الخليج العربي بعامة، والعراق بخاصة في تقوية مركز الاحتكارات والمصالح البريطانية في حوض الخليج العربي، وتأمين مواصلاتها مع شبه القارة الهندية، والوقوف بوجه محاولات التدخل لبقية الدول الأوربية مثل فرنسا وألمانيا، إذ كانت كل منهما تطمح لان يكون لها موطئ قدم على سواحل الخليج العربيّ (٢٢)، ففرنسا كانت طامعة في ميناء مسقط، وألمانيا تريد الهيمنة على الكويت (٢٣) لكي تكون نهاية لسكة حديد بغداد – برلين(٢٤).

وفي خطوة مهمة سبقت قيام الحرب العالمية الأولى أولت بريطانيا أهمية كبيرة لشيخ المحمرة (الشيخ خزعل) ، وحاكم الكويت (الشيخ مبارك) الصباح (٢٥)، فحاولت كسب ثقتهم بقوة الوجود البريطاني في الخليج العربي، لتأمين وصول القوات البريطانية الى البصرة ، وحماية آبار النفط وافشال خطة العثمانيين لاثارة المسلمين من خلال اعلان الجهاد ضد بريطانيا (٢٦)، والاستفادة من المرجعية الدينية التي كان العثمانيون يعتقدون انها ستقف الى جانبهم اذا ما قامت الحرب ، واشترك العثمانيون فيها ضد بريطانيا، الأمر الذي حدث بالفعل بعد مدة وجيزة.

الفصل الثاني/اثر المرجعية الدينية في التصدي للسياسة البريطانية في العراق (١٩١٤م– ١٩١٨م):

على الرغم من الاضطهاد ، والمعاناة والمضايقة والتمييز الطائفي الذي كانت تعاني منه مدينة النجف الأشرف مركز المرجعية الدينية وغيرها من المدن العراقية المقدسة الأخرى(٢٧)، إلا أن قيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ لم يمنع علماء الدين في هذه المدن من إعلان الجهاد ضد البريطانيين الذين سعوا لاحتلال العراق والسيطرة عليه، منطلقين من شعورهم الوطني ودوافعهم الدينية المخلصة في أن السلطة العثمانية رغم تمييزها واضطهادها لهم لا يمكن ان تقارن بمحتل

كافر، مما عكس مستوى رفيعاً من الوعي والادراك بأن التحدي الاستعماري الأساسي يجب أن يدفع بالتحدي الثانوي إلى الوراء وتوجه كل الجهود باتجاه التحدي الأساسي (٢٨).

إن علماء النجف الأشرف، على الرغم من توتر علاقتهم بالدولة العثمانية، واعتقادهم أن السلطة العثمانية لا تمثل الاطار الاسلامي الذي يجمع الشعوب المنضوية تحت لوائها، وأن اتخاذها الإسلام ستاراً لحكمها لا يمكن أن يعبر حقيقة عن روح الإسلام الذي لا يفرق بين إنسان وآخر على اساس العرق والدين، تلك المسائل كانت تفتقدها الدولة العثمانية(٢٩)، أن هؤلاء العلماء تجاوزوا على موقفهم من الدولة العثمانية وارتفعوا إلى مستوى أكبر تحدي كان العالم يواجهه المتمثل بقيام الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤، فعلى الرغم من أن الدولة العثمانية أعلنت حيادها في هذه الحرب التي لم تكن تمتلك لخوضها أي قدرة عسكرية أو اقتصادية أو سياسية إلا أن مجريات الحرب ورغبة الحلفاء في جرها إلى الحرب لكي تتقاسم ممتلكاتها التي كانت هذه الدولة طامعة فيها منذ زمن طويل هو الذي دفع بها للاشتراك فيها (٣٠)، وبالفعل أضحى حياد الدولة العثمانية مجرد ورقة ميتة لم تلبث ان داستها اقدام طرفي الحرب سواء الحلفاء أم دول الوسط على حد سواء، فدول الحلفاء كانت تدفع بالعثمانيين للانضمام إلى الجهد المشترك لدول الوسط لكي يقتسموا ممتلكاتها بعد انتهاء الحرب فيما بينهم، في حين اعتقدت الدولة العثمانية أن دخولها في الحرب إلى جانب المانيا سيخلصها من النفوذ والضغوط الروسية والبريطانية، وكان القادة العثمانيون يعتقدون أن النصر سيكون حليف المانيا، وإذا ما انتهت الحرب لصالحها فإن ذلك سيجعلها تتخلص من كل مشكلاتها ولاسيما النفوذ الروسي والبريطاني الذي سيتراجع ويجعل العثمانيين يقفون على اقدامهم ثانية(٣١).

كانت منطقة الشرق الأوسط، ولاسيما العراق واحدة من أهم المناطق التي كانت مرشحة لأن تكون ميداناً من ميادين القتال الرئيسة بين المعسكرين المتحاربين ، حتى وصل الحال بأحد المؤرخين للقول إن ((أولى طلقات الحرب العالمية الأولى في الشرق الأدنى قد دوت في الشرق الأوسط لا في البحر الأسود))(٣٢)، لذلك سعى الطرفان المتحاربان لوضع الخطط اللازمة لاحتلال العراق، وبخاصة كل من بريطانيا وألمانيا اللتين وضعتا في استراتيجيتهما هذا الموضوع، إلا أن وجود علماء الدين في المناطق المقدسة من العراق كان يقف حجر عثرة أمام احتلالهما للعراق ، لأن هؤلاء العلماء كانوا يقفون بالضد من أي احتلال اجنبي للعراق ، أو أي بلد إسلامي آخر(٣٣).

لم يكن الألمان بحاجة إلى أن تقف الدولة العثمانية إلى جانبهم ، لأنهم كانوا يعتقدون أن النصر سيكون لصالحهم، إلا أنهم، مع ذلك، وبعد أن وقف العثمانيون إلى جانبهم حاولوا أن يستغلوا وجود العراق تحت السيطرة العثمانية لكي يجعلوا علماء الدين في الاماكن المقدسة منه يفتوا

للجهاد ضد البريطانيين لكي يؤثروا في الجنود الهنود لمسلمين الموجودين في القوات البريطانية، الأمر الذي أشار إليه السفير الالماني في الدولة العثمانية (فونهايم) قائلاً: إن المانيا ((كانت تنوي تصعيد حرب دينية للقضاء على سلطة بريطانيا وفرنسا في مستعمراتها الإسلامية كالهند ومصر والجزائر، وغيرها، ولكننا نحن لا نرى في تركيا إلا العالم الاسلامي، فإذا تمكنا في إثارة الرأي الاسلامي العام ضد انكلترا أو فرنسا وروسيا، ارغمناهم على طلب الصلح في وقت قريب))(٣٤).

بالمقابل حاولت بريطانيا تحييد رجال الدين والمراجع الدينية في الأماكن المقدسة داخل العراق، ولاسيما في النجف الأشرف حيث توجد المرجعية الدينية(٣٥) أو السعي لكسبهم إلى جانبها؛ لأنها كانت تدرك موقفهم الرافض للاحتلال الاستعماري لأي منطقة إسلامية، الأمر الذي أدركه السفير البريطاني في استانبول وعبر عنه صراحة في رسالة ارسلها إلى نائب القنصل البريطاني في النجف الأشرف ، مؤكداً له بضرورة((أن يؤثر المجتهدين على نحو معين يجلبهم إلى جانب بلاده)) (٣٦) إلا أن ذلك لم يحقق لبريطانيا نتيجة تذكر بسبب وقوف علماء الدين في مدينة النجف الأشرف إلى ((جانب العثمانيين استجابة لواجبهم الديني)) (٣٧).

كان للأداء علماء الدين في العراق اثر مهم في التصدي للبريطانيين، لاسيما اثناء الحرب العالمية الأولى، فبرز موقفهم الوطني والشرعي من بين مواقف الفئات والطبقات الاجتماعية الأخرى، والى الحد الذي عدّه البريطانيون " موقفا مناوئاً لهم، وحرك الفئات الأخرى للتعاطف والتفاعل معه" على حد ما جاء في وثيقة بريطانية(٣٨).

فعندما قررت الدولة العثمانية في الثالث من تشرين الثاني عام ١٩١٤ الدخول في الحرب العالمية الأولى ، وعقد تحالف مع المانيا، واعلان الحرب على بريطانيا بعد ذلك بيومين، انزلت القوات البريطانية جزءاً من قواتها في (الفاو) ، لتبدأ ما عرف بحملة " ما بين النهرين"(٣٩) التي استهدفت احتلال العراق ، ووضع الاسس اللازمة لحكمه بعد استكمال سيطرتها عليه (٤٠).

بالمقابل وجدت المرجعية الدينية في احتلال البريطانيين للفاو ان من واجبها الديني والاخلاقي ان تتصدى لهذا الاحتلال عن طريق اعلان الجهاد ، ومواجهة المحتل الأجنبي، ووجوب الدفاع عن البلاد الإسلامية(٤١)، ولم يكتف علماء المرجعية بإصدار الفتوى التي تحث على الجهاد، وإنما شاركوا في الدفاع عن العراق، فأسهم كل من السيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ الجواهري، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي، والسيد محمد الشهرستاني، والسيد عبدالرزاق الحلو، والسيد محمد بن السيد كاظم اليزدي ، والسيد محسن الحكيم ، وغيرهم في معارك الحرب العالمية الأولى ضد الانكليز(٤٢).

استجاب الالاف من العراقيين لحركة الجهاد، ووقفوا الى جانب القوات العثمانية في حربها ضد البريطانيين، على الرغم أنَّ العثمانيين لم يكلفوا أنفسهم حتى في إطعام هؤلاء المجاهدين(٤٣)، وكانت العشائر العراقية كارهة للعثمانيين، إلا أن إصدار هذه الفتوى، وما أسهم به بعض زعماء الدين أمثال السيد محمد سعيد الحبوبيّ (٤٤) وغيره من رجال المرجعية أدى إلى إقناع زعماء العشائر بأهمية المشاركة في حركة الجهاد (٤٥).

كان من ابرز الزعماء العشائريين الذين ساندوا دعوة المرجعية الدينية في التصدي للانكليز هم السيد نور الياسري وعبدالواحد الحاج سكر وعجمي السعدون والسيد هادي المكوطر والسيد محسن أبو طبيخ والسيد هادي زوين والشيخ مبدر الفرعون والشيخ شعلان أبو الجون والشيخ غثيث الحرجان وغيرهم من شيوخ العشائر الذين أصبحوا فيما بعد قادة للانتفاضات ضد البريطانيين، ولم تكن مشاركة هؤلاء في حركة الجهاد دليل ولاء عميق للعثمانيين، لأنَّ جميعهم كانوا قد سببوا المشاكلات للأتراك قبل عام ١٩١٤، وكانوا حريصين على القتال ضد الانكليز بسبب دوافعهم الدينية والوطنية (٤٦).

جاءت تصريحات الشيخ مبدر الفرعون أحد رؤساء آل فتلة الذي أشار إلى أنَّ" الأتراك أخواننا في الدين وواجب علينا مساعدتهم على طرد الأعداء الكفار من بلادنا "(٤٧) لتدلل على ان شيوخ العشائر فضلوا الجانب الديني والوطني على كل الجوانب الأخرى، وتناسوا خلافاتهم مع العثمانيين؛ لأنَّ العدو الأساسيّ أصبح متمثلاً بالبريطانيين الكفار الطامعين بأرض العراق والبلاد الإسلامية.

برز من بين علماء المرجعية الدينية الذين أفتوا بالجهاد ضد المحتل البريطاني عدد من الرجال أبرزهم الميرزا محمد تقي الشيرازي الذي تربى في بيت علم وفضيلة ودين، فامتزج العلم الالهي بالعمل الصالح حتى أصبح من مشاهير الفقهاء والمجتهدين ومراجع التقليد في عصره، وتسلم زعامة الحوزة العلمية في كربلاء المقدسة، وبرز كأحد المراجع الكبار في العالم الاسلاميّ(٤٨).

أسهم الميرزا محمد تقي الشيرازي في حركة الجهاد منذ عام ١٩١٤، حيث أفتى به، وارسل ابنه محمد رضا للالتحاق بالمجاهدين في جبهة (الشعيبة) بالبصرة ، وأوضح موقفه السياسي من الانكليز الذين عدهم اعداء لبلاده ولمبادئ الاسلام الحنيف، واشترك علناً في النشاط السياسي داخل العراق، وكان ذلك عاملاً من عوامل نهوض الحركة المناوئة للاحتلال البريطانيّ (٤٩).

عدت بريطانيا الميرزا محمد تقي الشيرازي واحداً من اخطر المحرضين على قتالها، فقالت في تقاريرها إنَّه " اثبت عداءه لبريطانيا منذ اليوم الأول الذي وطأة اقدامنا أرض الفاو وعندما

أصدر منشوراً ضدنا في كربلاء، ووزع منه اعداداً كبيرة بين الناس. علينا متابعته ومحاولة افشال مشروعه التحريضي"(٥٠).

جاءت فتوى الميرزا الشيرازي وهي تحمل العبارات الآتية " القيام القيام يا اسلام. قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشفِ صدور قوم مؤمنين" ... ايها المسلمون: الآن أوشكت مهاجمات اعداء الدين على حرم الله وحرم رسوله ومشاهد الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) ان تهتك حرم الدين، وبلاد المسلمين، والشعائر والمشاعر ونفوس المؤمنين في خطر، ولذلك فعلى جميع العشائر والعائلات الساكنين في الحدود والثغور، وعلى عموم المسلمين واجب لازم بما أوتوا من قوة، وما تمكنوا من ان يحفظوا الثغور وحدود البلاد الاسلامية، ويتعهدوا الدفاع عن حوزة الاسلام، والله هو الناصر والمعين"(٥١).

ومن جانبه فقد حاول (برسي كوكس)((P.Cox)) بصفته رئيس الحكام السياسيين التخفيف من تأثير هذه الفتوى عندما أصدر بياناً للعراقيين جاء فيه:" ليكن معلوماً ان الحكومة البريطانية لا تخاصم السكان العرب المقيمين على ضفتي الشط، وعليهم أن لا يتخوفوا من شيء، كما اننا سوف لا نتعرض لهم ولا لأموالهم اذا وقفوا موقفاً ودياً تجاهها ولا يؤوا الجنود العثمانيين أو اللذين يحملوا السلاح علينا "(٥٢).

وضمن هذا الاطار أيضاً حاولت الحكومة البريطانية التقليل من الدور الكبير الذي كان يسهم به الميرزا الشيرازي في كربلاء المقدسة وباقي المدن العراقية الأخرى عندما أوصت بان المجتهد الأول في العراق السيد محمد كاظم اليزدي (٥٣) رجل محافظ النزعة، وهو لا يتدخل في السياسة وانه " في قرارة نفسه موال لبريطانيا وشديد العداء للاتراك"(٥٤)، لكن بريطانيا لم تذكر كيف عرفت ما في قرارة نفسه، وهو الذي اصدر فتوى بالجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٤(٥٥)، وقبل ذلك بثلاث سنوات أفتى بضرورة الجهاد ضد الغزو الايطالي لليبيا(٥٦).

لم يكن بامكان السلطات البريطانية ان تنكر الموقف الكبير الذي وقفه السيد اليزدي عندما ارسلت اليه الكولونيل ستوكس عام ١٩١٥ لا ستطلاع رأيه حول احتلال البصرة وما يجب على البريطانيين ان يراعوه في العراق، فقد رفض الرشوة التي ارسلتها له بريطانيا وكان مقدارها كبيراً، وطلب من ستوكس الاحتفاظ بها لأنه ليس به حاجة اليها، كما طلب منه اخبار حكومته بضرورة ان لا تميز بين العراقيين وان لا تسلك سلوك العثمانيين في اضطهاد فئة أو طائفة على حساب أخرى وأن تراعي مصالح الناس ورغباتهم وتحترم مشاعرهم وان تحافظ على المدن العراقية وفي مقدمتها المناطق المقدسة(٥٧)، وجاء ارسالهم لرجلهم ستوكس الى السيد اليزدي بعد ان أفتى بالجهاد ضد البريطانيين وضرورة الدفاع عن بيضة الإسلام وحث العشائر على مقاومة المحتل(٥٨).

وعلى صعيد آخر اهتمت بريطانيا اهتماماً كبيراً بالفتاوى التي أصدرها الميرزا محمد تقي الشيرازي لأنها حسب وجهة نظرها كانت ": مؤثرة في الناس وكانت تؤثر في عقولهم ونفوسهم ايما تأثير بسبب أسلوبها"، فهي حسب وجهة نظر أحد المسؤولين البريطانيين تجري في نفوسهم كما " يجري الماء الرقراق في جدول عذب"(٥٩).

لم يبق الشيرازي شخصية معينة لها تأثير في أتباعه الا وأرسل إليه عدداً من الرسائل تحثه على تعبئة معينه للجهاد وضد البريطانيين، فقد أرسل رسائل إلى الشيخ خزعل شيخ المحمرة والى حجة الإسلام الشيخ باقر حيدر الذي كان متواجداً في سوق الشيوخ والى الشيخ صباح المبارك شيخ الكويت وغيرهم من الشخصيات المهمة الاخرى واللذين حثهم فيها على دفع عشائرهم وأتباعهم من التي تسكن الثغور على حفظ الحدود ومقاتلة الكفار الذين يريدون بالإسلام شراً (٦٠).

لم تقتصر فتاوى المرجعية الدينية على السيد محمد كاظم اليزدي والميرزا محمد تقي الشيرازي، وانما حرر عدد آخر من علماء المرجعية الدينية فتاوى مماثلة تصب في اتجاه حمل السلاح والجهاد ضد البريطانيين، فقد حرر فتح الله محمد جواد شيخ الشريعة(٦١) فتوى واجبة التنفيذ على كل المسلمين بالجهاد في سبيل رفع راية الإسلام والدفاع عن بيضة، فجاء فيها "... إن الله أوجب علينا إبلاغ أحكام القرآن وفرض علينا إظهار شرائع الإسلام فيا معاشر العرب والترك قد أجمع جميع علماء الإسلام وكافة المتدينين بدين سيد الأنام على اختلاف مسالكهم وتباين مذاهبهم على وجوب جهاد الكفار اذا هجموا على بلاد المسلمين وأرادوا نهب أموالهم وقتل رجالهم واعلاء كلمة الكفر وهبوط كلمة الإسلام وتسلط الكفرة اللئام على كلمة الإسلام، فمن كان عنده جاه يبذل جاهه أو سلاح يبذل سلاحه أو مال يبذل ماله ، أما بلغكم باستعانة من أحاط بهم الكفار وحرموا في بلادهم وقارهم النار، فأين غيرة الإسلام وأين الطالبون لتثبيت شريعة الإسلام"(٦٢).

أحدث هذه الفتاوى التي أصدرها علماء المرجعية الدينية تأثيراً كبيراً ومهماً في نفوس الجماهير، وكانت فرصة لكي تعبر فيها المرجعية عن موقفها السياسي من الاحتلال البريطاني للعراق، فعدت هذه المرجعية وجود البريطانيين واحتلالهم لهذا البلد بأنه مثال للتحدي الأجنبي الأوربي للإسلام، وانه بنظر المجتهدين الكبار يشكل خطراً مباشراً على مبادئ الإسلام والمسلمين(٦٣).

واستناداً إلى التقارير البريطانية فانه بحلول عام ١٩١٥ كانت الدعوة الى الجهاد التي صدرها رجال المرجعية الدينية قد وصلت إلى كل العراقيين والمسلمين، وأصبح ينادى بها في كل مساجد العراق، وأرسلت المرجعية الدينية مبعوثين إلى رجال العشائر تحثهم فيها على الجهاد وقتال البريطانيين باسم الإسلام، وكان أثر ذلك بالغاً على العشائر العراقية التي يعيش بينها عدد كبير من السادة الذين قاموا بدور بارز وبالغ الأهمية في تعبئة رجال العشائر ودعوتهم للجهاد(٦٤).

كانت تأثيرات المرجعية الدينية ضد البريطانيين كبيرة أبان الحرب العالمية الأولى، وهيأوا العراقيين لقتالهم ومحاربة سياستهم فيما بعد، الأمر الذي وفر الأرضية المناسبة لقيام انتفاضة ١٩١٨ في النجف الأشرف وثورة العشرين التحررية التي امتدت من أقصى البلاد إلى أقصاها، وأظهرت حركة الجهاد التي أعلنتها المرجعية الدينية قوة العامل الديني والقومي في توحيد العراقيين وتوجيه كفاحهم ضد الغزاة الأجانب، فصحيح إن الصراع العسكري في معارك احتلال العراق كان لصالح بريطانيا لاسيما في معارك البصرة ومناطق الجنوب الأخرى بسبب عدم تكافؤ القوتين المتحاربتين ، وكون بريطانيا دولة عظمى، واكبر قوة بحرية في ذلك الحين(٦٥)، مقارنة بقوة المجاهدين الذين كانوا يفتقرون للتخطيط العسكري والأسلحة والاعتدة، وكونهم حشد شعبي دفعته العقيدة وروح الجهاد باتجاه مقاومة المحتلين البريطانيين، إلا أنها من جانب آخر أشرت مدى كره العراقيين للمحتل الأجنبي، كما أشرت حركة الجهاد مدى التأثير القوي لعلماء المرجعية الدينية الإعلام على رجال العشائر وبقية العراقيين، وتصديها لبريطانيا ومحاولة إشعارها بان حكم العراق ليس سهلا، وعليهم وضع هذه الحقيقة في أذهانهم، لكن بريطانيا لم تدركها جيداً، واعتقدت إن بإمكانها حكم العراق بشكل مباشر، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى اندلاع ثورة العشرين التحررية .

الخاتمة:

دلت المعلومات الواردة في البحث على إن الوثائق البريطانية غير المنشورة أولت اهتماماً كبيراً لدور وأثر المرجعية الدينية في العراق في الأحداث التي شهدها هذا البلد طيلة مدة الحرب العالمية الأولى.

لم يأتِ اهتمام بريطانيا بدور المرجعية الدينية اعتباطاً أو من فراغ وعدم، وإنما جاء بسبب قدرة علماء ورجال المرجعية الدينية في تحريك الجماهير ودفعها لحمل السلاح لمواجهة المحتل الكافر البريطاني، والدفاع عن بيضة الإسلام، والتأكيد بان من يقتل في ساحة المعركة انما هو شهيد في سبيل العقيدة والوطن ومثواه الجنة .

وعلى الرغم من أن المرجعية الدينية كانت مدركة تماماً بان العثمانيين لم يحققوا للعراقيين ما يصبون اليه من تحرر واستقلال وتقدم، وعاش العراقيون في ظل الحكم العثماني غربة عن ما كان يجري في العالم من تقدم ملحوظ، وان العثمانيين كانوا غرباء عنهم، ولم يسمحوا لأبنائهم بأن يتبوأ المناصب العليا وان يكونوا ولاة لبلادهم، فان المرجعية الدينية تجاوزت ذلك ورفعت شعار الجهاد ضد البريطانيين لأنهم كانوا كفاراً محتلين، فكان هذا الموقف أسمى المواقف التي اتخذتها المرجعية، ودخلت التاريخ من أوسع أبوابه في الأحداث التي شهدها العراق ما بين ١٩١٤–١٩١٨.

وقفت الوثائق البريطانية غير المنشورة أمام اثر المرجعية الدينية موقفاً متحيراً، اذ كيف يتسنى لها الوقوف بجانب العثمانيين الذين لم يمنحوها أدنى دور في الحياة العراقية العامة، واستخدموا أسلوب " التتريك" و" فرق تسد" مع العراقيين، ومع ذلك وقفت المرجعية الدينية ضد البريطانيين الذين ملأت شعاراتهم الدنيا بمنح العراقيين الحرية والديمقراطية وإدخالهم العالم الحر.

ولم يدرك البريطانيون حقيقة الدور التي قامت به المرجعية الدينية في هذه المرحلة الخطيرة من تاريخ العراق الحديث لانهم كانوا يعتقدون انها تتشابه في عملها ودورها بعمل ودور المؤسسة الدينية المسيحية وكنيستها التي لطالما وقفت مع السلطة الزمنية الغاشمة في أوربا ضد حركة الشعوب المتطلعة الى الحرية والتخلص من استبداد الحكام وجورهم وظلمهم .

لقد قيمت الوثائق البريطانية غير المنشورة الدور الكبير الذي أسهمت به المرجعية الدينية في العراق، وأعطتها المكانة التي تستحقها في حركة التاريخ ولم يكن بإمكانها ان تغفل هذا الدور، ويأتي هذا التقييم من طرف معاد لها وهنا تكمن أهمية ذلك، لان تقييم المؤرخين والباحثين العراقيين والعرب، وان كان مطلوباً، الا إن ذلك، لا يمكن ان يكون بمستوى ما يقيمه أعداء العراق ومحتليه ، والرافضين لأية جهة تحاول ان تؤثر على الرأي العام في العراق لكي يقف ضد المحتل البريطاني ويعيق فرض هيمنته على هذا البلد العريق بحضارته وبإرثه الثقافي .

حقاً لقد ارتفعت المرجعية الدينية في العراق إلى مستوى التحديات التي كان يواجهها العراقيون، وقدمت أمثلة رائعة وحية على الدور المطلوب الذي قامت به أبان سنوات العشرينيات في القرن الماضي، وما زالت تؤديه كذلك كلما تعرض هذا البلد للتحديات والمحن والظروف الصعبة .

الهوامش والمصدر :

١- صالح العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ – ١٨١٠، بغداد، ١٩٧٩، ص ٤٧ ، ٥١-٥٢؛ علاء موسى كاظم، الدبلوماسية البريطانية في العراق ١٨٠٨ – ١٨٢٨، " آفاق عربية" (مجلة) ، العدد (١٢) ، السنة (٥)، بغداد، آب ١٩٨٠، ص ١٠٤.

٢- ماريون فاروق سلوغلت وبيتر سلوغلت، من الثورة الى الدكتاتورية العراق منذ ١٩٥٨، ترجمة: مالك النبراسي، بغداد، ٢٠٠٣،ص٣٠.

3- Basbanlik Osmanlik Arsivi, Deo, 76282, 101/76282, 1351/, 1802, R.5.

٤- ولد عام ١٧٨٧، وعمل في خدمة شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٨٠٣ حيث عين سكرتيراً لقنصل بريطانيا العام في البحر المتوسط، والمقيم في القاهرة، تعلم اللغة العربية ولهجاتها المختلفة، وصل الى بغداد في عام ١٨٠٨ ليشغل فيها منصب المقيم البريطاني حتى عام ١٨٢١. للتفصيل عنه يراجع: جيمس ريج، رحلة ريج في العراق، ج١، ترجمة : بهاء الدين نوري، بغداد، ١٩٥١،ص ١٤-١٩؛

C.M. Alexander, Baghdad in Bygone days, London, 1928,p. 10.

5- I.O.R., L/p+s/10, From: Baghdad To: I.O., 22/10/1810.

6- H.L.Hoskins, British Routes to India, London, 1928, pp. 148- 149.

٧- اتجهت افكار المسؤولين البريطانيين نحو استخدام السفن البخارية لنقل البضائع في البحر المتوسط عن طريقين ، يمر احدهما بمصر فالبحر الأحمر، ويمر الآخر بنهر الفرات فالخليج العربي، وكل من هذين الطريقين يقلل مدة السفر وتكاليف النقل. ينظر:

S. Andrew, History of Egypt, London, 1960, p. 77

٨- زكي صالح، المصالح البريطانية في العراق، بيروت،١٩٥٨، ص١٥٤.

9 - F.O., 371/ 22353, From: Baghdad, To : F.O., 23/7/ 1835.

١٠- زكي صالح ، المصدر السابق، ص ١٥٧.

11- I.O.R., L/p+s/10, From: Bushir , To : I.O., 22/12/1856.

12- C.A.Low, History of the Indian Navy, Vol. 2, London, 1930, p. 409.

13-S. Fraser, History of Iraq, London, 1960, p. 137.

14- F.O., 371/23232, From: Persia, to : F.O., 15/12/1911.

١٥- عبدالوهاب الجابري، نفط الشرق الاوسط، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٦٨-٦٩.

16- A.Ramazani, The political Stution of Persian, New York , N.D., p. 8.

17- I.O.R., L/ p +s/10, From : I.O.,To: London, 22/1/1911.

18- R.Answorth, History of the Gulf, London, 1970, p. 80.

19- I.O.R., L/P+S/10, From : London, To : The Gulf, 23/8/1914.

٢٠- حميد أحمد حمدان التميمي، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤- ١٩٢١، بغداد، ١٩٧٩، ص ٩٧-٩٨.

21- Quoted in : Earal of Lolandshay, The life of lord Gurzon, Vol.II, London, 1928, p. 10.

22- I.O.R., L/P+S/10, From: London, To : I.O., 25/8/1914.

٢٣- نوري عبدالبخيت، الصراع بين روسيا وبريطانيا حول فارس والخليج العربي في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، " الخليج العربي"(مجلة) ، العدد(٦)، البصرة ، ١٩٧٦،ص ٦٠.

٢٤- في عام ١٨٩٩ حصلت الدوائر المالية في المانيا على امتياز لمد سكة حديد الاناضول الى بغداد والبصرة، وفي عام ١٩٠٣ منحت شركة المانية كانت أكثر اسهمها مملوكة لشركة حديد الاناضول امتياز جديد أمده تسع وتسعون عاماً لمشروع مد خط حديدي الى البصرة ، كما يتضمن المشروع انشاء ميناء بحري في المدينة نفسها. وأدى هذا الامتياز الى زيادة حدة التنافس الدولي على العراق ومنطقة الخليج العربي بعد ان أبدت المانيا رغبتها بمد السكة الى الكويت التي كانت بريطانيا قد عقدت مع شيخها معاهدة في عام ١٨٩٩. أديب وائي، أيف، بيندوز، العراق دراسة في علاقاته الخارجية وتطوراته الداخلية ١٩١٥- ١٩٧٥، ترجمة : عبدالمجيد حسيب القيسي، ج١، بيروت ، ١٩٨٩، ص ٦٧- ٦٨.

٢٥- ولد الشيخ مبارك الصباح عام ١٨٤٤ في الكويت، وهو الابن الثالث للشيخ صباح بن جابر الذي اهتم به وتربيته وتعليمه. لم يكن له دور مهم في عهد أخويه محمد وجراح اللذان ابعداه عن الحكم، الأمر الذي دفعه لقتلهما

عام ١٨٩٦ ليستلم الحكم في الكويت. استمر حكمه حتى عام ١٩١٥. ينظر: عبدالعزيز الرشيد، تاريخ الكويت، بيروت، ١٩٧١، ص ١٣٨– ١٣٩؛ يوسف عيسى القناعي ، صفحات من تاريخ الكويت، ط٢، دمشق، ١٩٧٢، ص ٢٢– ٢٣.

٢٦– صباح نورالدين رشيد الخفاف، الخليج العربي خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤– ١٩٨ دراسة في اوضاعه السياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية – جامعة لبصرة، ١٩٩٠، ص٧٧–.٧٨

٢٧– عن هذا الموضوع ينظر : فوزي هادي حمزة، النخبة السياسية ودورها في التطورات السياسية في العراق (١٩٢١– ١٩٥٨)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة العالمية للعلوم الاسلامية ، لندن، ٢٠٠٦، ص ٣٦– ٣٨؛ محمد حسين المظفر، تاريخ الشيعة، قم ، د.ت، ص ١١٦–١١٧.

٢٨– ينظر: سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، ١٩٠٠– ١٩٢٠، بيروت، ١٩٩٥، ص ٧٥.

٢٩– بلال الصافي ، الدولة العثمانية والمشرق العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص.٩٧

٣٠– إسحاق نقاش، شيعة العراق، قم المقدسة، ١٩٩٨،ص ٧٤–٨٠.

٣١– توفيق علي برو، العرب والترك في العهد العثماني، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٩٨.

32– Quoted in : M.S. Lazarev, Krdistan: Kurdslraga probelma, Moscow, 1964, p. – 299.

٣٣– علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٤، بيروت، ١٩٨٠، ص ٢٠–٢١.

٣٤– مقتبس في : ناهدة حسين علي جعفر ويسين، تاريخ النجف في العهد العثماني الأخير، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية– ابن رشد، جامعة بغداد، ١٩٩٩، ص ٥٥.

٣٥– يقصد بالمرجعية الدينية الجهة المتولية لشؤون الأمة أو الفرقة أو الطائفة ، ويبدها الإدارة العليا لتدبير أحوالها وأوضاعها الدينية ويسمى المتقمص بها بالمرجع بفتح الميم كسر الجيم، والذي يكون مقره في النجف الأشرف. ينظر : علي أحمد البهادلي ، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الاصلاحية (١٩٢٠–١٩٨٠)، بيروت، ١٩٩٢، ص ١٨٢؛ فيصل عبدالجبار النصيري، المؤسسة الدينية ومقومات المرجعية والتقليد، " أهل البيت" (مجلة)، العدد(١)، كربلاء المقدسة، ٢٠٠٥، ص ١٩٤– .١٩٥

٣٦– مقتبس في : غسان العطية ، العراق نشأة الدولة ١٩٠٨ – ١٩٢١، تعريب عطا عبدالوهاب، لندن، ١٩٨٨،ص ١١٦.

٣٧– صلاح جعفر الروازق، الحوزة العلمية العراقية . المشروع السياسي، بغداد ، ٢٠٠٦، ص٢١٠– ٢١٣.

٣٨– F.O., 371/23521, Administration Reports, Najaf, 28/8/1915.

٣٩– شكري محمود نديم، حرب العراق، ١٩١٤– ١٩١٨، ط٤، بغداد، ١٩٦٤، ص ٢٢– ٢٣.

40– F.O., 371/29366, From: F.O., To : The Gulf , 22/11/1914

41– J. Shaban, Britain in Iraq, London, 1976, p. 163.

٤٢– عبد الشهيد الياسري، البطولة في ثورة العشرين: ثورة العراق ١٩٢٠، النجف الأشرف، ١٩٦٧، ص ٦٩.

٤٣– بويس ديلي، الحركة الاسلامية الشيعية في العراق، ترجمة : مصطفى نعمان وهناء خليف ، بغداد، ٢٠١١، ص ٣٣.

٤٤- ولد في مدينة النجف الأشرف عام ١٨٤٩. اشترك مع المجاهدين في الدفاع عن وطنه ضد القوات البريطانية المحتلة، وكان من أشد المجتهدين الشيعة حماسة للجهاد، وقاد الالاف من ابناء العشائر الفراتية ضد الانكليز. تصفه الوثائق البريطانية بانه " شخص عنيد ومتصلب في موقفه". مرض السيد الحبوبي بعد معارك البصرة وتوفي في الناصرية في السادس عشر من حزيران ١٩١٥.

F.O., 371/21322, From : Baghdad, To : F.O., 26/11/1918;

٤٥- حسن لطيف الزبيدي، موسوعة الاحزاب العراقية، بيروت ، ٢٠٠٧، ص ٢٩٩-٣٠٠.

٤٦- وميض جمال عمر نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق ، بيروت ، ١٩٨٥، ص.١٢٥

٤٧- فريق المزهر الفرعون، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية ١٩٢٠ ونتائجها ، ج٢، بغداد، ١٩٥٢، ص ٤١.

٤٨- نقلاً عن : عبدالشهيد الياسري، المصدر السابق، ص ٦٩.

٤٩- عادل عناد ناصر، محمد مهدي الشيرازي سيرته واثره في الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية ، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة سانت كليمنس- بغداد، ٢٠٠٩ ، ص٥٠.

٥٠- وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق،ص ١٢١.

51- F.O., 371/23211, From: P.Cox, To: F.O., 21/10/1916.

٥٢- نقلاً عن : كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي القائد الأعلى للثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠، قم المقدسة، ٢٠٠٦،ص١٥٦.

٥٣- نقلاً عن : عبدالستار شنين الجنابي، تاريخ النجف السياسي ١٩٢١- ١٩٤١، بيروت، ٢٠١٠،ص٣٠.

٥٤- ولد في خراسان عام ١٨٣١. وتتلمذ على يد اساطين الحوزة العلمية ، وأصبح المرجع الديني الأول في السنوات الأولى من القرن العشرين، كان محافظاً ومتمسكاً تمسكاً شديداً بتعاليم الاسلام. أفتى بمقاتلة المحتلين الايطاليين لليبيا،وعرف عنه كرهه للاتراك العثمانيين . توفي عام ١٩١٩ . حسن لطيف الزبيدي، المصدر السابق،ص٥٧١.

55- Colonial Office, 69/1, Administration Reports, Najaf and shaiya, 1918 ,p. 105.

٥٦- ينظر : محمد صادقي طهراني ، نكها هي به تاريخ : انقلاب اسلامي ١٩٢٠ عراق ونقش علماي مجاهد اسلام، قم المقدسة، د.ت، ص٦.

٥٧- وميض جمال عمر نظمي، المصدر السابق،ص ١٢٢.

٥٨-F.O., 371/21356, From : Najaf , To : F.O./, 28/12/1917.

٥٩- ينظر نص الفتوى في : كامل سلمان الجبوري، السيد محمد كاظم اليزدي سيرته واضواء على مرجعيته ومواقفه السياسية، قم المقدسة، ٢٠٠٦، ص ١٧.

٦٠- F.O., 371/23567, From: Mesopotamia, To: F.o., 11/10/ 1916.

٦١- ينظر نص هذه الرسائل في : كامل سلمان الجبوري، محمد تقي الشيرازي القائد الاعلى للثورة العراقية الكبرى، ١٩٢٠، ص ١٦٠-١٦٣.

٦٢- ولد شيخ الشريعة عام ١٨٤٩، درس على يد اكابر علماء الشيعة. وهو من اساتذة الفقه والاصول. ألف وبحث وكتب كتباً عدة وهو من قادة حركة الجهاد ضد البريطانيين عام ١٩١٤، وآلت اليه قيادة المجاهدين بعد وفاة الشيرازي. توفي عام ١٩٢٠ . للتفصيل عنه يراجع: محمد هادي الاميني ، معجم رجال الفكر والأدب في النجف

خلال ألف عام ، المجلد الثاني، النجف الأشرف، ١٩١٤، ص ٧١٧؛ محمد الغروي، من علماء النجف الاشرف، المجلد الثاني، بيروت، ١٩٩٩، ص ٣٢٥.

٦٣- نقلاً عن : حسن ويس يعقوب، النجف الاشرف في الارشيف العثماني ١٨٦٩- ١٩١٥، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب- جامعة الكوفة ، ٢٠١٤، ص.٣٣١

٦٤- غسان العطية، المصدر السابق، ص ١١٢.

65- F.O., 371/21355, From : Baghdad, To : F.O., 11/10/1915; Co. , 691/1, Administration Reports, Najaf and Shamiya, 1918, pp. 105- 106.

The impact of the religious authority in Iraq's political events (1914-1918)
Study in light of the British documents

(M. D. Mohammad Hashim Khuytr)
Mustansiriya University / Faculty of Education / Department of History

Abstract:

This research aims to the impact of the religious authority follow in the political events in Iraq during the First World War, and culminated in the position of the harbingers established a greater role in the years following the war, both those represented by the fact that a number of uprisings against occupying such as Najaf uprising British authority Najaf in 1918 or the fact that Iraq's major liberal revolution on the thirtieth of June 1920.

Within this context revealed British documents is published on the seriousness of the role that the contribution of the religious authority and its men who have issued calls for jihad, and declared fatwas, which called for the lifting of arms against the British occupiers, who had wanted to tie Iraq to India, and turn it into a British colony to take advantage of its wealth and harness his people to serve the effort British military during and after the war.

These British documents include documents of the Ministry of British India (India Office Records) British and documents of the Ministry of Foreign Affairs (Foreign Office) which were copies of which exist in the National Library in Baghdad in the years of the eighties of the twentieth century before being National Library of sabotage and arson, which affected the scientific institutions Cultural and after the 1991 and 2003 events.